

شهد الحديبية ، فخرجوا في شوق المنطلق بعد منع والمتنظر بعد صبر ، إلا من استشهد في خير وأدركته الوفاة خلال العام . وخرج معهم جمع كبير ممن لم يشهدوا الحديبية يتبعهم النساء والأطفال ، وساقوا أمامهم ستين بدنة مقلدات للهدى ، وقد حملوا السلاح والدروع والرماح وعلى رأسهم مائة فارس يقودهم محمد بن سلمة . .

فلما انتهى الرسول وصحبه إلى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه ، وعلمت قريش بالنبا ففزعوا وبعثوا بمكرز بن حفص في نفر منهم فجاءوا يقولون : « والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر . . تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر : السيوف في القرب ؟ » فقال عليه السلام : « إني لا أدخل عليهم » قال مكرز : « هو الذي تعرف به . البر والوفاء » .

وإنما حمل النبي السلاح للحيفة كما قال لصحبه : « إن هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منا » . . وتركه في الحراسة على مقربة من مكة حيث يوصل إليه عند الحاجة إليه .

ثم أقبل عليه السلام على ناقته القصواء وجموع المسلمين محذوقون به متوحشون بالسيوف يلبون وهللون ، وأخذ عبد الله بن رواحة بزمام القصواء وهو ينشد :
خلوا بني الكفار عن سييله خلوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقليله إني رأيت الحق في قبوله

وأوشك وقد هزته النخوة أن يصبح في قريش صيحة الحرب ، فنهاه عمر رضى الله عنه وأمر النبي أن ينادى ولا يزيد : « لا إله إلا الله وحده نصر عبده ، وأعز جنده ، وخذل الأحزاب وحده » . فرفع ابن رواحة بها صوته الجهير ، وتلاه المسلمون يرددونها وتهتز بها جنبات الوادي القريب ، فيسمعها من فارقوا مكة لكيلا يسمعوها ولا يروا ركب النبي يخطو في نواحيها . .

* * *

وكان الفتح الذي بصر به عيانا من لم يره يوم الحديبية بنور البصيرة ، وأسلم من الضعفاء والأقوياء من كان عصيا على الإسلام : فريق منهم بهرهم وفاء النبي بعهدده